المبحث الثالث

الظواهر العامة

استمد مسلم كثيرا من ظواهر الحياة اليومية، والإنسانية فراح يتمثلها صورا شعرية باثا فيها الحياة والحركة والعواطف الإنسانية، فغدت الجمادات تحيا وتتحرك كالإنسان من خلال إعادة تشكيلها في صور فنية عبر فيها عن مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته تجاه الحياة اليومية وظواهرها العامة.

ومن الصور التي تناولها صورة الشيب التي كان يعود إليها كثيرا في صور فنية مختلفة عبرت عن أثرها في نفسه التي ربما كان يعدها نذيرا بقرب الأجل، إذ جعل الشيب ضاحكا في رأسه بقوله:- (السريع)

مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب (١)

ولأثر الشيب في نفسه راح يعلن أن سيره في رأسه يلحقه بالكهول الذي يعني له نهاية الشباب، فراح يرسم صورة رائعة شبه فيها الشيب في رأسه بالنجوم في الليل إذ يقول: (الطويل)

طلائع شيب سير أسرعها رسل يردن شبابي أن يقال له كهل

نجوم هي الليل الذي زال تحتها تفارط شتى ثم يجمعها أفل (٢)

ويبدو أنه أراد من استعارة الضحك للشيب بياض الأسنان ولمعانها عند الضحك واشتراكهما بصفة البياض، لأن الشيب كما هو معروف أبيض اللون،

(١) شرح ديوانه ص٣٠٦، وقد نالت هذه الاستعارة نصيبا وافرا من لدن الشعراء بعد مسلم فأكثروا منها في شعرهم، ينظر ديوان دعبل بن علي الخزاعي صنعه د. عبد الكريم الاشتر ص ١٦٠، شعر ابن المعتز دراسة وتحقيق –الدكتور يونس السامرائي –القسم الاول ص٥٨، ديوان السري الرفاء (ت ٣٦٢هـ) ٢١٧/٢، تحقيق ودراسة د. حبيب حسين الحسيني.

(٢) شرح ديوانه ص٨٨.

والإنسان عندما يضحك تبرز أسنانه ببياضها ولمعانها، ثم أنه شبه الشيب في الصورة الاخرى بالنجوم التي غاب الليل تحت بياضها ولمعانها [١].

ويبدو أن تأثير الشيب في الإنسان مختلف تبعا للأثر النفسي الذي يحدثه فقد (يكون مشفوعا بالتعاون والمودة، وقد يكون مشفوعا بالعداء والتربص والخوف، قد يبدو هذا التأثير في إعلان الحرب على الشيب والشيخوخة مع التفاؤل وحب الحياة ومجابهتها، أو قد يبدو في الشعور بمرارة اليأس) [٢] لذلك نرى إن ظهور الشيب في رأسه جعل هاجس الخوف من الموت ملازما له فكان يكثر من تصوير الشيب الذي يعني له بداية النهاية او الاقتراب من الموت، إذ يقول: (البسيط)

لا يرحل الشيب عن دار أقام بها حتى يرحل عنها صاحب الدار [٣]

والدار التي يسكنها الشيب هي شعر الإنسان، أي أنه نزيل شؤم وزائر ثقيل عنده لأنه لا يرحل عنه إلا برحيله عن الدنيا التي هي نهاية الشاعر، ويريد بذلك أن الشيب عدو للإنسان وقاتل له، لذا نراه يجمع بين كراهة الشيب وكراهة مفارقته، لأن مفارقته تعني نهايته، إذ يقول: (البسيط)

الشيب كره وكره أن يفارقني أعجب بشيء على البغضاء مودود

يمضي الشباب وقد يأتي له خلف والشيب يذهب مفقودا بمفقود [٤]

---

(١) ويبدو كذلك أن صورة لمعان الأسنان ماثلة في ذهنه، فقد استعار في موضع آخر صفة الضحك لليل لتجسيد فكرة الشروق ولمعان نور الفجر باقترانه بلمعان أسنانهن عند الضحك – ينظر شرح ديوانه ص ٢٦١ وينظر ملامح فنية متميزة في شعر مسلم بن الوليد ص٣٧٠ (بحث).

(٢) الشيب والشعر العربي – نهلة حمصي – مجلة الفيصل العدد ٦٧ السنة السادسة ١٩٨٢، الرياض ص٦٧.

(٣) شرح ديوانه ص ٣٢٣

(٤) شرح ديوانه ص ٣١١ وقد علق الإمام عبدالقاهر الجرجاني على هذه الصورة ضمن تعليقه على المعاني التخيلية بقوله (هو من حيث الظاهر صدق وحقيقة، لأن الإنسان لا يعجبه أن يدركه الشيب فإذا هو ادركه كره أن يفارقه، فتراه لذلك يذكره ويتذكره على ارادته أن يدوم له، إلا أنك إذا رجعت الى التحقيق كانت الكراهة والبغضاء لاحقه للشيب على الحقيقة، فأما كونه مرادا ومودودا فمتخيل فيه وليس بالحق والصدق بل المودود الحياة والبقاء، إلا أنه لما

لذلك نرى صاحبته تبكي لرؤيتها شيبة لاحت في مفارقة، لأنها تعني بداية الغزو لرأسه وأن حلولها يعني حلول المصائب إذ يقول:- (البسيط)

تبكي لبيضاء لاحت في مفارقه بيضاء ماينقضي منها له وطر (١)

ويرى أن ظهور الشيب في رأس الرجل جريمة لاتغفرها المرأة، وتهديد لنهاية العلاقة بينهما (٢)، لذا نراه يدعو إلى الاستمتاع بالشباب وأيام الصبا، محاولا استخلاص حكمة استقاها من تجربته ومفادها أن الانسان لايستطيع اللهو حين يشيب: (الكامل)

خذ من شبابك للصبا أيامه هل تستطيع اللهو حين تشيب (٣)

وتفنن بصياغة صوره في الشيب ودلالته من خلال ولعه بالتشخيص الذي بث من خلاله الروح في الشيب، فجعل له أرجلا يمشي من خلالها على ريق الشباب ليغير حسنه ويحل محله مثل قوله: (الكامل)

هجر الصبا وأناب وهو طروب ولقد يكون وما يكاد ينيب

درجت غضارته لأول نكبة ومشى على ريق الشباب مشيب(٤)

ومن الصور التي تأثر بها وكان يعود إليها كثيرا، صور الموت التي بث فيها حكمته التي استقاها من الحياة إذ يقول:(الرمل)

كم رأينا من أناس هلكوا فبكى أحبابهم ثم بكوا

تركوا الدنيا لمن بعدهم ودهم لو قدموا ماتركوا

كانت العادة جارية بأن في زوال رؤية الإنسان للشيب زواله عن الدنيا وخروجه منها وكان العيش فيها محببا إلى النفوس صارت محبته لما لا يبقى له حتى يبقى الشيب كأنها محبة للشيب). اسرار البلاغة ص ٢٤٥.

(١) شرح ديوانه ص٢٥٣ وينظر ص٢٨١، ٣٣٧.

(٢) ينظر م. ن ص ٣٣٦.

(٣) م. ن ص١١٤.

(٤) م. ن ١١٢ وينظر ص ١٥٣،٣١٠، ٣٤٤، ريق الشباب: حسنه.

كـــم رأينـــا مـــن ملـــوك ســـوقه ورأينـــا ســـوقه قـــد ملكـــوا [١]

وإن الإنسان مصيره الموت لا محالة: (الطويل)

فـإن تبقنـي الأيـام تجنبنـي العصـا وإن تفننـي فكـل حـي لهـا أكـل [٢]

ونراه يستحسن الموت ويتمناه عند فرقة الأحباب ونفاد صبره في الحب، لأن نفسه تموت وتحيا مرارا من الوجد،إذ يقول: (المنسرح)

أيـــا ســـرور وأنـــت ياحـــزن لـــم لـــم أمـــت حـــين صـــارت الظعـــن

ما أحسن الموت عند فرقتهموأقبح العيش بعدما ظعنوا [٣]

ومن الصور التشخيصية الطريفة عنده لباسه كفن الحب الذي البسه إياه الهوى إذ يقول:

ممـــا كســـاني الهـــوى فكســـوته لـي أبـدا مالبسـتها كفـن [٤]**(المنسـرح)**

وعندما يصور شجاعة القواد المسلمين في الحرب يجعل الممدوح أمضى من الموت، وكأن القدر بيده يصول ويعفو حين يقتدر مثل قوله: (البسيط)

أظلهـم منـك رعـب واقـف بهـم حتـى يوافـق فـيهم رأيـك القـدر

(١) شرح ديوانه ص ٢٩٨.
(٢) م. ن ص ٨٨.
(٣) م.ن ص ١٧٢ وينظر ص١٨٩،١٨٥.
(٤) م. ن ص١٧٤.

أمضى من الموت يعفو عند قدرته ولـيس للمـوت عفـو حـين يقتـدر [1]

والممدوح في قتاله كالأجل الذي يخطف الأرواح: (البسيط)

مـوف علـى مهـج فـي يـوم ذي رهـج كأنـــه أجـــل يســـعى إلـــى أمـــــل

ينـــال بـــالرفق مـــا يعيـــا الرجـــال بـــه كالموت مستعجلا يأتي على مهل [2]

والممدوح (يدير بكفه سيف المنايا) والمنايا يتبعنه لأذهن (عالمات بأمره) و (أطاعه في أعدائه الأجل) وهو (يقسم المنايا في أعدائه) وتمضي المنايا (كما تمضي أسنته) والمنية في يديه (يبعثها على أعاديه) أين ومتى ما شاء والممدوح (يسوق الموت نحو أعدائه) والموت يهدي للممدوح ألفة الاعداء، والمنايا عاقت الأعداء بعقوتهم رضا الممدوح والردى (متصل بيد الممدوح)، وجعل للردى أيديا تخطف بها القادة الشجعان، وشبه الممدوح وقومه بالموت من شدة بأسهم في القتال[3].

وفي صورة أخرى يعجب من المنايا التي كانت بيد الممدوح تمضي كما تمضي أسنته، ويبعثها على من يشاء من اعدائه ففتكت به على الرغم من اطاعتها له،اذ يقول:

فـــإن يهلـــك (يزيـــد) فكـــل حـــي فـــريس للمنيـــة او طريـــد (الـــوافر)

ألـــم تعجـــب لـــه أن المنايـــا فـــتكن بـــه وهـــن لـــه جنـــود[4]

(١) م. ن ص ٢٥٤.
(٢) شرح ديوانه ص٩، وينظر ص١٥٩، في يوم ذي رهج:أي في يوم غبار من الحرب.
(٣) ينظر م.ن ص ٢٨٥، ٣٣٥، ٢٥١، ٦٥، ٦٤، ٢٥١، ١٦٩، ١٦٢،١٦٨، ١٦٣، ٢٢٣.
(٤) م.ن ص١٤٩.

أما تصويره الحرب فقد كان تصويرا إسلاميا ذكر فيه معاني الجهاد والطاعة لأمر الله سبحانه وتعالى وإعلاء راية الحق ومحاربة الظلم والباطل وتصوير شجاعة الممدوح في القتال، وكان كذلك تصويرا واقعيا للحوادث [١]

فقد كان يذكر الحادثة ويرويها، كما كان يدون أسماء الأمكنة. ومواقع الحروب، كوادي فلسطين والشام والصفصاف والخليج والقيروان [٢] مما يجعل بعضا من قصائده سجلا تاريخيا للحوادث آنذاك، ومنح صوره القدرة على التعبير من خلال تصوير الجوانب الدقيقة مما جعلها قادرة على التأثير في نفس المتلقي.

ومن الصور المبتكرة التي بث فيها الروح والحياة ووظف العلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة للتعبير عن شجاعة الشجعان في الحرب هي استعارته لعلاقة النكاح بين الرجل والمرأة وتوظيفها للتعبير عن طعن الرماح والسيوف في الحرب، وجعل الطلاق نهاية العلاقة وهو المنايا التي تأخذ أرواح العدو إذ يقول:-(الطويل)

إذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها [٣]

ولأن السيف يعبر عن شجاعة الممدوح وينتصر به على الأعداء ويفرض الأمن فقد كانت صور السيوف والرماح ماثلة في خياله عندما يصور الحرب ويصف الشجعان، فقد جعل السيف رفيقا للممدوح لا يستأنس إلا به:(الطويل)

أتتك المطايا تهتدي بمطية عليها فتى كالنصل يؤنسه النصل [٤]

---

(١) ويرى الباحث حسن علوان أن في مديح مسلم ناحيتين متميزتين هما (تصوير وقائع الحروب، وذكر المواقف البارزة في حياة الممدوح وترصيعها بالحوادث المشهورة والانتصارات المذكورة) – صريع الغواني – مسلم بن الوليد ص ٢٧.

(٢) ينظر شرح ديوانه ص ٢٥٢،٢٥١،٢٣٦،٢٣٥،١٧، ٢٦٦، والصفصاف: كورة من ثغور المصيصة، والمصيصة مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، والخليج نهر صغير في بلاد الروم – ينظر معجم البلدان ٣/٤١٣،٥/١٧٠.

(٣) شرح ديوانه ص ٣٢٨، وينظر ص ١٣٥ فقد عبر عن شدة الحرب وبأسها فجعلها تحمل بعد أن كانت عاقرا ولم تلد لينتهي شرها، وقد وظف صورة الحمل والمخاض للتعبير عن رحلته في الفلاة الى الممدوح ينظر ص ٨٤.

(٤) م.ن ص٦٣، وينظر ص١٨٢،١٦٦،١٥٩.

ولكون السيف لا يسكن إلا في الغمد، فقد وظف مسلم هذه الصورة للتعبير عن عمق العلاقة بينه وبين ممدوحه، قائلا:-(الطويل)

وإنـي وإسـماعيل يـوم وداعـه لكالغمد يوم الروع فارقه النصل (١)

وكما أن السيوف توقع الهزيمة بالأعداء في الحرب فإنها تستخدم لعقر الإبل للأضياف في السلم:-(البسيط)

قـوم إذا هـدأة شـامت سـيوفهم فإنهـا عقـل الكـوم المقاحيـد (٢)

وتناول في صوره ذاته الشاعرة، وتحدث عن غزله في بعض قصائده، فعلامات الحب ماثلة في وجهه ولا يدري أيكتمها أم يعلنها:(الطويل)

أأعلـن مـابي أم أسـر فـأكتم وكيف وفي وجهي من الحب معلم (٣)

لكن روحه في صورة أخرى تكتم الحب عن جسده البدين الذي لم يدر بهوى قلبه والذي يزن حب العاشقين كلهم:-(المنسرح)

وقائـل لسـت بالمحـب ولـو كنـت محبـا هزلـت مـذ زمـن

فقلـت روحـي مكـاتم جسـدي حبـي والحـب فيـه مختـزن

شـف الهـوى مهجتـي وعـذبها فلـيس لـي مهجـة ولابـدن

أحـب قلبـي ومـا درى جسـدي ولـو درى لـم يقـم بـه السـمن

(١) م. ن ص ٣٣٢.
(٢) شرح ديوانه ص ١٦٠.
(٣) م. ن ص ١٧٧.

لـــو وزن العاشـــقون حبهـــم لكـــان حبـــي بحـــبهم يـــزن [١]

ويبكي لفقد الحبيب لأن الهوى سلب عقله وقلبه ولم يبق منه غير جسم شاحب، والحب يطلبه ليقتله [٢].

ونراه أحيانا يستمد صورا من واقع الحياة اليومية ليصور مدى حبه، وعدم قدرته على الفراق مثل قوله: (المتقارب)

وإنـــي كالـــدلو فـــي حبكـــم هويـــت إذا انقطعـــت عرقـــوه [٣]

وهذه الصورة لا تحرك خيال المتلقي ولا تثير عاطفته لأنها مألوفة ومستوحاة من مفردات الحياة اليومية، كما أنه ارتجل البيت على البديهة التي تفتقر الى عنصر العاطفة، [٤] وعند لقائه الحبيبة يتعفف ولا يفتك بها [٥]، ويحاول أن يثير مشاعر المتلقي من خلال المشاركة العاطفية بينه وبين فتياته حين يصف لقاءه بهن في ليل أشرق من نور وجوههن، وعلى الرغم من أنه خبر الهوى وأنه البطل في سوح الوغى إلا أن الكواعب يقتلنه بلحظ واحد وتدمع عيناه عندما يودعهن.[٦]

ومن الصور الغريبة التي استطاع أن يوظفها للتعبير عما أراده، هي صورة الأسارى وقد أثقلت أيديهم الجوامع والتي شبه بها الجواري وهن يغطين ثمار نحورهن من الفزع والذهول: (الطويل)

فاقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العين والستر واقع

فغطت بأيديها ثمار نحورها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع [٧]

---

(١) م. ن ص ١٧٦.
(٢) ينظر م. ن ص ١٨٤، ١٨٥، ١٧٥.
(٣) م.ن ص ٣٤٥، العرقوة من الدلو: هي الخشبة المعترضة.
(٤) ينظر العقد الفريد ٣٨٣/٥.
(٥) ينظر شرح ديوانه ص ١٤٢.
(٦) ينظر م. ن ص ١٨٦- ١٨٧، ٣٠٦، ٨٣.
(٧) م.ن ص ٢٧٣، وعلى الرغم من أن صورة ايدي الأسارى المثقلة بالجوامع، وما تدلل عليه من أسى وذل، بعيدة كل البعد عن أيدي الحسان ورقتها وانوثتها إلا أن مسلما نجح في توظيفها

والحبيبة عنده هي التي أعطت رضى وأطاعت بعد عصيان و هي التي اماتت واحيت مهجته بالمواعيد والمطل فالمرأة في شعره (كالمرأة في شعر الفحول المتغزلين ..... شبيهة بغصن البان، تتراخى وتتمايل من اللين تمايل السكران ولها كفل ثقيل)(١).

أما الواشي والعاذل الذي يلاحق المحبين ويكثر الحسد والأكاذيب، فقد كان مسلم يخشاه كثيرا، ويفرط بوصل الحبيبة خوفا منه، لأن كذب الواشين نفى السرور عنه وجلب السهاد لمقلتيه، ولأن حدق الواشين أبت أن يصفو هواهم فقد التزم التعزي والصبر و حارب العذال الذين حرموه و صل الحبيبة و كتم تباريح الهوى ليستريح من العذل (٢)، إلا أنه كان يسلو على الرغم من أن العواذل قالوا لا يسلو، وسعوا إلى مايعيبه لكن ذلك لايقلل من مجده و شرفه (٣)، وأن الواشي لا يستطيع أن يمنع زيارتهم في النوم إذ يقول:-

لله واش رعـــى زورا ألـــم بنـــا لـو كـان يمنعنـا فـي النـوم أحلامـا (٤)

ومن صوره التي تفرد بها استحسانه إساءة الواشي لأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق في الدموع خوفا منه: (البسيط)

ياواشـــيا حســـنت فينـــا إســـاءته نجـى حـذارك إنسـاني مـن الغـرق (٥)

ومن الواشين الذين تخاف نميمتهم صاحبة مسلم هما الطيب والحلي، فقد رسم صورة لصاحبته وهي تمشي على مهل خشية صوت الخلاخيل والعطر: (الطويل)

وتكمن عبقريته في أنه شبه بين البعيدين فأحسن بذلك واختلفت آراء النقاد القدامى والمحدثين في هذه الصورة – ينظر البديع لعبدالله بن المعتز ص ١٧، العمدة ٣٢٠/١، التشبيهات لابن أبي عون (ت٣٢٢هـ) ص ٣٤١، فن التشبيه. علي الجندي ٣٩/٣، اتجاهات الغزل في القرن الثاني ص ٢٧٣.

(١) مقدمة محقق الديوان ص٤٣ وينظر شرح ديوانه ص ١٢١، ٣٤، ١٤٣،١٢٤.

(٢) ينظر شرح ديوانه ص١٤٣،٢٠٥،٤٤،١٨٤،١٧٨، ٢٢٦.

(٣) ينظر م. ن ص ٣٥، ٢٩١، ٩٢.

(٤) م. ن ص٦١.

(٥) م. ن ص ٣٢٨، إنسان العين: سوادها

إذا مـا مشـت خافـت نميمـة حليهـا تداري على المشي الخلاخيل والعطرا

وعندما يصف كرم الممدوح وجوده يجعل العواذل يقلن فيه إنه غوي لأنه يتلف ماله، إلا أنهن يقصرن عن عذله لأنهن يهبنه هيبة المتذلل لمولاه. (الطويل)

جـواد تغـاواه العـواذل بينهـا ويقصـرن عنـه هيبـة المتـذلل

يريـن مكـان اللـوم ثـم يهبنـه فيمسـكن عـن غـاو لـديها معـذل (٢)

أما طيف الحبيبة فقد كان يقطع المسافات ليلا ليداوي سقمه ويرد إليه روحه ويثير أشواقه:

خيـال مـن النـائي الهـوى المتبعـد سرى فسرى عنه عزيم التجلد(الطويل)

دعـا وطـرا حتـى إذا مـا أجابـه أطـاف بمطـروف الجفـون مسـهد (٣)

ويتفنن في صورة أخرى من صور الطيف الذي جاذبه وأعرض عنه، وإن زاره فهو متغاضب ومعاتب لأن قلب الحبيبة عاتب عليه: (الكامل)

مـالي رأيـت خيـال طيفـك معرضـا إذ زارنـي متغاضـبا فـي جانـب

والله لـولا أن قلبـك عاتـب مـا كـان طيفـك فـي المنـام بعاتـب

طيـف يعـاتبني وقلـب مغضـب نفسـي فـداء مغاضـبي ومعـاتبي (٤)

---

(١) م. ن ص٤٥ وورد في الديون تصحيف (تميمة) بدلا من (نميمة) والتميمة: قلادة يجعل فيها سيور وعوذ، والصحيح ما اثبتناه.

(٢) م ن ص٢٩.

(٣) شرح ديوانه ص ٦٩ وينظر ص٦١، ٨١،١٧٨، ٢٠٠، وأن صورة طيف الخيال الطارق ليلا من الصور المتداولة في الشعر العربي القديم، ينظر على سبيل المثال: ديوان قيس بن الخطيم تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ص ٦٠، شرح ديوان الأخطل (ت٩٢ هـ) – صنعه ايليا سليم الحاوي ص ٥٤٨، ٦٢١، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي (ت٩٣ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ص ٤٣٣ ،ـ ديوان الفرزدق ص٤٩، شرح ديوان جرير ص ٥٢٩،٤٤٩،٣٩٦،٢٢٢،طيف الخيال – للشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) تحقيق حسن كامل الصيرفي فقد ذكر المؤلف اشعارا في الطيف لعدد من الشعراء القدامى والمحدثين.

(٤) شرح ديوانه ص١٨٥.

وأضاف إلى مصادر صوره مصدرا مهما؛ ألا و هو تجربته وخبرته الطويلة، وصور جانبا من فلسفته في الإنسان والحياة، فحملت بعض صوره أبعادا أخلاقية منها الكرم والجود والمعروف والحلم والعلم والعدالة [1]، وجعل بعضا من أبياته حكما وأمثالا متداولة، ذلك أن الحكمة لدى الشاعر هي (ثمرة تجارب كثيرة وشعور صادق بآثار الحياة وحقائقها وأسرارها، وهي لذلك خليقة أن تبعث في نفوس القراء نحو هذا الشعور الصادق وأن تحملهم على التفكير العميق والتأمل في شؤون الدنيا)[2]، فدعا إلى التأني والقناعة لأن الدنيا لا تدوم والدهر يأخذ ما أعطى: (البسيط)

لن يبطىء الأمر ما أملت أوبته وإن أعانك فيه رفق متئد

والدهر آخذ ما أعطى مكدر ما أصفى ومفسد ما أهوى له بيد

فلا يغرنك من دهر عطيته فليس يترك ما أعطى على أحد [3]

وعن سرور الإنسان بمرور الزمان وتعلقه بالأماني يقول: (الطويل)

وأكثر أفعال الليالي إساءة وأكثر ما تلقى الأماني كواذبا [4]

ويدعو الى السعي وطلب المعالي والقناعة بما هو ممكن فيقول: (الكامل)

لاتقنعن ومطلب لك واسع فإذا تضايقت المطالب فاقنع

وإذا حرصت فألق ستر قناعة من دون حرصك لا تلج فتطبع

ومن المروءة قانع ذو همة يسعى لها فإذا نبت لم يقلع

ما كنت إمعة ولكن همة تأبى الهوان وفسحة في المنجع [1]

---

(١) ينظر م. ن ص ٢٨، ٣٠، ٦٤، ٦٦،٦٧،٨٦، ٣١٨.

(٢) أصول النقد الأدبي ص ٢٩٩.

(٣) شرح ديوانه ص ٢٩٧، وقد تكررت صورة الدهر عنده اكثر من مرة، ينظر م.ن ص١٢٢، وينظر ص ٦٠ من هذا الفصل.

(٤) ينظر م. ن ص ٣٠٥ وينظر ص٣١٨

وجاءت بعض صوره لتعبر عن ذاته في محاولة منه (للتقريب بين الشعر والذات)[٢] فعبر عن شعوره وحلمه بعد أن ترك الصبا بقوله:(البسيط)

لا أجمع الحلم والصهباء قد سكنت نفسي إلى الماء عن ماء العناقيد [٣]

ويلجأ احيانا الى الألغاز في رسم صوره، فقد قال في وصف خاتم: (الطويل)

وأبيض أما جسمه فمدور نقي وأما رأسه فمعار

وما يشترى إلا لتسكن وسطه بديعة رأس ما عليه خمار

لها أخوات أربع هن مثلها ولكنها الصغرى وهن كبار

وما فيه من نفع سوى خط رأسه وبعد ففيه زينه ووقار [٤]

وكان يترجم بعض المواقف والحوادث اليومية لممدوحيه إلى صور فنية كقوله في يزيد ابن مزيد: (البسيط)

تراه في الأمن في درع مضاعفة لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

صافي العيان طموح العين همته فك العناة وأسر الفاتك الخطل

---

(١) م. ن ص ٢٩٣ وينظر ص ٢٥-٢٦، ١٥٤ ـ الإمعة: الذي يتبع الناس.
(٢) مسلم بن الوليد صريع الغواني ص١٤١.
(٣) شرح ديوانه ص١٥٣.
(٤) م. ن ص٢٣٨.

لا يعبــق الطيــب خديـــه ومفرقــه ولا يمســح عينيــه مــن الكحـــل (١)

نستخلص مما تقدم أن المصادر التي استقى منها مسلم لتشكيل صوره كانت متعددة، فقد أثرت الحياة الحضارية والثقافية والاجتماعية في إغناء تجربته الشعرية، ومن أهم مصادر صوره: التراث الديني والتاريخي والأدبي، فقد تأثر بالأسلوب القرآني واستمد منه بعض صوره وألفاظه وتراكيبه، كما تأثر بالحديث النبوي الشريف إذ شكلت المعاني المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف كثيرا من صوره من خلال تصويره القيم والمعاني والمثل الخلقية في ممدوحيه، والإيمان بقضاء الله وقدره، وفي قصائده التي يصف فيها المعارك ويمدح القادة المسلمين كان يصور معاني الجهاد والطاعة لأمر الله سبحانه وتعالى وإعلاء راية الحق ومحاربة الظلم والباطل، وكانت تصويرا واقعيا للحوادث، لأنه كان يعمد إلى ذكر الأمكنة ومواقع الحروب. وتأثر بالحكم والأمثال التي حملتها الكتب المقدسة.

كما نلمس صلته الوثيقة بالأدب العربي القديم ومعانيه وصوره من خلال تضمينه بعض التراكيب والألفاظ القديمة أو صياغتها صياغة جديدة تتناسب مع بيئته، فأكسبها دلالات ومعان جديدة، وأن وصف الأطلال في شعره لايعدو أن يكون شكلا فنيا أو وصفا تقليديا لصور مخزونة في ذاكرته من تراثنا القديم.

وأدخل في صوره ألفاظا فلسفية غير مألوفة في أدبنا العربي تؤكد صلته باللغات الأخرى. وتعامل مع مظاهر الطبيعة على وفق دلالات ارتبطت بتجربته

(١) شرح ديوانه ص١٢-١٣، وروي أن معن بن زائدة (ت ١٥١هـ) كان يقدمه على أولاده، فعاتبته امرأته في ذلك، فقال لها سأريك في هذه الليلة ما تبسطين به عذري، فبعث غلامه يدعو أولاده، فجاءوا مكتحلين متعطرين، وفي الثياب اللينة بعد هدأة من الليل، ثم بعث يدعو يزيد، فلم يلبث ان دخل عجلا وعليه سلاحه، فقال له معن: ما هذه الهيئة يا أبا الزبير؟ فقال: جاءني رسول الأمير فسبق وهمي الى أنه يريدني لمهم، فلبست سلاحي وقلت إن كان الأمر كذلك مضيت ولم أعرج، وإن كان على غير ذلك فنزع هذه الآلة عني من أيسر شيء، فلما انصرفوا قالت زوجته: قد تبين لي عذرك، وإلى مثل هذه الحالة أشار مسلم – ينظر وفيات الأعيان ٣٢٣/٦.

الشعرية، إذ كانت الطبيعة (الصامتة والحية) مصدرا مهما من مصادر صوره. واستقى منها صورا فنية وظفها لخدمة الغرض المنشود.

وكان من الطبيعي أن نلمس تأثير ظواهر الحياة اليومية والإنسانية في شعره، واعتماده عليها في تشكيل بعض صوره التي خضعت لعوامل عديدة، مثل نظرته إلى الزمن او الشيب، والتي خضعت إلى عوامل نفسية ارتبطت بتجربته في الحياة.